النقد الأدبي الغربي في أوائل العصور الوسطى

تأليف: رفيع حبيب
ترجمة: د. أحمد محمد الشلابي
كليتي التربية، و اللغات و الترجمة

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تتبع التفكير النقدي في أوائل العصور الوسطى الغربية، وإلى استجلاء المؤثرات الرئيسية فيه، فيقف عند تيارين رئيسيين أثرا في النقد في تلك الفترة، هما التأثيران المسيحي اللاهوتي؛ والفكري الكلاسيكي القديم اليوناني و الروماني. فبالنسبة للتيار الأول يتضح في اتجاه النقد إلى التساؤل حول مهمة الأدب و وظيفته في العالم المسيحي وبأنه وسيلة للوصول إلى الصياغة السليمة و قد تم التركيز في التأليف على البلاغة و القواعد و المدونات اللغوية. أما التيار الثاني الذي اتضح و تبلور مع القديس أوغسطين، ففي أعماله حدث التوليف العميق بين المفاهيم الكلاسيكية والمسيحية. و أكثر من أي مفكر مسيحي آخر ، أثر أوغسطين في تقاليد الفكر الكاثوليكي والبروتستانتي معا على السواء وأدان الدراسات المتحررة، مشيرًا إلى أن ما يحرر حقا هو الكتب المقدسة فقط. وبينما تعاطف مع حجج أفلاطون لإبعاد الشعراء والكتّاب المسرحيين لأسباب أخلاقية، كانت وجهات نظره حول علاقة الشعر بالحقيقة مختلفة بعض الشيء. و انتهى إلى أن أسلوب و منهج يقف وراء تعريفه المسيحي الجديد للبلاغة.

الكلمات الرئيسية:
النقد الأدبي الغربي، العصور الوسطى، نقد أوغسطين، النقد الوسيط، تاريخ النقد.

مقدمة تاريخية:

حتى وقت قريب جدا، عدت العصور الوسطى فترة إظلام و جهالة و خرافات. و مصطلح العصور الوسطى (*medium aevum*) اجترحه المفكرون الإنسانيون(Humanist Thinkers) الإيطاليون الذين أرادوا أن يميزوا عصرهم – أي عصر النهضة و الإحياء و إعادة اكتشاف المفكرين الكلاسيكيين – عن العصر الذي سبقهم. و قد تعزز رفض إنسانيي عصر النهضة للفكر الوسيط بما شاع من الإصلاح البروتستانتي إلي ربط ذلك الفكر بالكاثوليكية الرومانية (Kretzmann and Stump, 1993:4-5).[1] صحيح أن أوائل العصور الوسطى، منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية على أيدي القبائل الجرمانية في القرن الخامس و حتى حوالي سنة 1000 للميلاد، قد شهدت نكوصا إلى أنماط مختلفة من البدائية في الفكر و الاقتصاد، غير أن الأبحاث الحديثة قد أثبتت أن كثيرا من فكر و ثقافة عصر النهضة كان حقا قد تطور من العصر الوسيط الذي لم يكن إطلاقا جاهلا بالتراثين اليوناني و اللاتيني.

هناك عوامل عديدة أسهمت في تكوين العصور الوسطى: منها تطور التراث المسيحي؛ و الأنماط الاجتماعية و السياسية للقبائل الجرمانية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية ؛ و ما بقي من النظام الإداري و القانوني الروماني؛ و إرث العالم الكلاسيكي؛ و أيضا الاحتكاك بالحضارة الإسلامية (و هو موضوع يقع خارج نطاق هذه الدراسة). غير أن المسيحية هي التي كانت التأثير الأعظم لتطور الحضارة الوسيطة. و حتى قبل سقوط روما سنة 410م كانت المسيحية مقبولة و متقبلة، كما يتضح من العديد من القرارات التي استهلها الإمبراطور قسطنطين منذ العام 313م فصاعدا؛ وبحلول سنة 381م أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

لقد كانت المسيحية المبكرة غير متجانسة، تحتوي على العديد من الطوائف مع تباين في الممارسات و العقائد. فالآريسيون و النسطوريون، مثلا، رفضوا فكرة التثليث التي دافع عنها الإثناسيون. و رفضت الدوسيتية و البازيليدية فكرة صلب المسيح، و أنكرت البيلاجيانية فكرة الخطيئة الأولى و

1. Cambridge Companion to Aquinas, ed. Norman Kretzmann and Eleonore Stump [1] (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), pp. 4–5.

استلمت الورقة بتاريخ 08 ديسمبر 2020، وروجعت بتاريخ 06 يناير 2021، وقبلت بتاريخ 07 يناير 2021، ومتاحة على الانترنت بتاريخ 09 يناير 2021

اعتنقت فكرة إرادة الإنسان الحرة. و لكي تتم تسوية هذه النزاعات عقدت الكنسية مجامع عالمية ابتداء من مجمع نيقية سنة 325م الذي أدان آراء معظم هذه الطوائف بوصفها جميعا هرطقات، و أسست تلك المجامع العقيدة الإثناسية للتثليث على أنها مذهب المسيحية الراشد. أما مبدأ التجسيد (Incarnation) فلم يتم تبنيه حتى انعقاد مجمع خلقيدونيا (Chalcedon) سنة 451م. و قد صاغ هذه السجالات أفراد مثل أثناسيوس الإسكندري (293-373م)، و كذلك غريغوريوس أسقف نيصص، و القديس باسيليوس قيصرية (حوالي 330-379م) والاسقف غريغوري النزينزي (حوالي 330-389م)، و البطريرك يوحنا فم الذهب (حوالي 330-379م)، و القديس أمبروز (حوالي 339-397م)، و كذلك القديس أوغسطين (354-430م). لكن أحد أبرز المفكرين العظام في هذه الفترة كان القسيس جيروم (حوالي 347-420م)، الذي ترجم الإنجيل من لغاته الأصلية إلى اللاتينية، و(هي ما يعرف بإصدار فولغاتا [أي الشائع]). وقد تم تبني الخطوات التالية في المسيحية لترقية وحدة العقيدة و الممارسة: منها تدشين المواعظ المعيارية، و تدريب الأساقفة، ونمو البابوية سلطة و مكانة بالتركيز على الولاء و الطاعة. و أخذا بكل ما سبق في الاعتبار، يتبين أن المذهب المسيحي لم يتبلور أبدا في أوائل العصور الوسطى. و أن العديد من الكنائس الشرقية تبنت عقائد غير أرثوذكسية، و استلزم الأمر عقد مجامع مسكونية لاحقة حتى سنة861م لرأب الصدع بين معظم الانقسامات التي حدثت بين كنائس روما و القسطنطينية.

و بصرف النظر عن تلك الصعوبات، فإنه بعد سقوط الإمبراطورية ترك الأمر للكنيسة للحفاظ على الوحدة و النظام و الإرشاد في العديد من المجالات. لقد كانت الكنيسة، بتركيبتها التي كانت تزداد تعقيدا تدريجيا و التي كانت تحكم بهيمنة متزايدة من قبل البابا في روما، هي التي عملت على ترقية القيم المعنوية، و غذت السلوك الاجتماعي الملائم، و أرست التعليم الكلاسيكي. و قد ظلت اللغة اللاتينية لغة للتعليم و للقانون في العصور الوسطى. غير أن أهم مظهر ميز المسيحية هو الرهبانية، التي استمدت جذورها من التقشف النصراني المبكر. كانت الرهبانية التي أسسها في الشرق القديس باسيلوس و في الغرب القديس بنديكتوس قد اتبعت الرهبنة نظاما صارما من الفقر و الطاعة و التواضع و العمل و التفاني. كان المسؤولين في معظمهم من الرهبان الذين تولوا تأليف الكتب ونقل المخطوطات القديمة وصيانة والمدارس و المكتبات و المستشفيات. تطور الرهبان في وقت لاحق إلى طبقة رجال الدين المنتظمين (باتباع نظام صارم أو *قاعدة*، على عكس رجال الدين الدنيويين (secular) الذين عملوا في المجال الدنيوي (فكلمة (saeculum) تعني "الدنيا" أو "الزمن").

أما القوة الأخرى التي أثرت في الإمبراطورية الرومانية الغربية فقد كانت هي القبائل الجرمانية، و هي القبائل التي شملت الإسكندينافيين و القوط و الوندال و الفرانكس(الإفرنج) و الأنكلوساكسونيين. و كان العديد من هذه الشعوب قد استقر بالفعل في أجزاء مختلفة من الإمبراطورية قبل وقت طويل من سقوط روما. و في نهاية المطاف تمردوا ضد الحكم الروماني ، فنهب القوط الغربيون بقيادة ألاريك روما في 410 قبل الميلاد. استولى الوندال على المدينة مرة أخرى في عام 455 م. كان أسلوب الحياة ، فضلاً عن العرف القانوني والاقتصادي والسياسي للشعوب الجرمانية ، بدائيًا في كثير من النواحي. تطور هذا البناء ، الذي اندمج مع الإرث الإداري للإمبراطورية الرومانية ، في نهاية المطاف إلى نظام إقطاعي ، والذي أدى إلى الالتزامات التعاقدية بين الحكام والرعايا ، واللوردات والتوابع ، والالتزامات القائمة على قيم مثل الجرأة والشرف والولاء والحماية والطاعة. نرى هذه القيم يتم التعبير عنها مرارًا وتكرارًا في قصائد مثل *بياولف*(*Beowulf*)[1] ، غالبًا في تبادل قلق مع القيم المسيحية مثل التواضع والثقة في العناية الإلهية. و في أوائل العصور الوسطى ، تراجعت التجارة والصناعة ، وأصبحت الأرض تتركز بشكل متزايد في أيدي قلة ، مع انتشار المجاعة والأمراض في كثير من الأحيان. و اقتصر النظام الاقتصادي إلى حد كبير على التجارة المحلية. و قد أفسحت الثقافة الرومانية القديمة الطريق أمام حياة تركزت على حياة القرى والملكيات الإقطاعية والأديرة. كما أجازت الكنيسة طريقة الحياة الهرمية والثابتة إلى حد كبير. و كان يُنظر إلى النظام الاجتماعي، حيث يكون لكل شخص مكانه ، كجزء من النظام الكوني الأكبر والمؤسس إلهياً.

[1] تعد قصيدة بيوولف (*Beowulf*) ملحمة شعرية وطنية إنجليزية قديمة تمتاز بأسلوب المعلى. تتكون القصيدة من 3,182 معلى، وهي أحد أهم أعمال الأدب الإنجليزي القديم (Old English Literature) أما وكاتبها فغير معروف.

[العوامل المؤثرة في الأدب و النقد]:

أولا- **التيارات الثيولوجية و الفكرية**: المسيحية و الكلاسيكية

كانت التيارات الفكرية في أوائل العصور الوسطى مدفوعة بعاملين رئيسيين: تراث الفكر الكلاسيكي ، والعلاقة المتفاوتة بين تطوير اللاهوت المسيحي لهذا التراث. و كان من بين النقاد العلمانيين (الدنيويين) في أواخر العصر الروماني بعض الشخصيات المؤثرة: مثل ماكروبيوس وسيرفيوس ، اللذان أسهما في انتشار فرجيل ومعرفة الأفلاطونية الجديدة ، كما أن سيرفيوس هو مؤلف القواعد النحوية المعيارية لهذه الفترة ؛ و كذلك مثل النحوي إيليوس دوناتوس ، الذي كتب مراجع بعنوان الفنون الصغرى *Ars Minor* و الفنون الكبرى *Ars maior* ، و قد استخدمت في جميع أنحاء العصور الوسطى ؛ كما كتب بريكيانوس , Priscianus كتاب تـأسيسات النحو *Institutio grammatica* الذي كان له أيضا تأثير واسع النطاق ؛ و قام ديوميديس Diomedes بتأليف سرد شامل للمجازات النحوية والأنواع الشعرية. وقد كانت نصوص فرجيل Vergil هي النصوص الأساسية في مدارس القواعد ، بينما احتل شيشرون Cicero مكانة متميزة في تدريس البلاغة. و كان مارتيانوس كابيلا Martianus Capella أحد الخطباء في أوائل القرن الخامس ، و كان معروفًا في العصور الوسطى من خلال موسوعته المرجعية في الفنون الحرة السبعة. و كتب كل من كاسيودوروس Cassiodorus وإيزيدور Isidore الإشبيلي موسوعات مؤثرة لاحقة حيث نقلوا "مجموع المعارف القديمة المتأخرة إلى الأجيال القادمة" [1].

أضفت هذه الخلاصات الطابع الرسمي في نهاية المطاف على مناهج الفنون الحرة في جامعات العصور الوسطى. و من بين هذه التطورات ، كان هناك اثنان وثيقا الصلة بشكل خاص بالعصور الوسطى المبكرة وهما : الأفلاطونية الجديدة (التي بدأت قبل العصور الوسطى) والتقليد المسيحي المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتفسير الاستعاري كما يتجسد في عمل القديس أوغسطين Augustine ، والذي سنتناوله لاحقا في هذه الورقة.

في أوائل العصور الوسطى ، ذهبت شخصية الكنيسة "الدنيوية الأخرى" إلى إخضاع مكانة الأدب والفنون للقضايا الأكثر إلحاحًا المتعلقة بالخلاص والاستعداد للحياة التالية. و بشكل عام، أدى انتشار الشعور بعدم الاستقرار وفقدان الأمن و انتشار الأمية إلى تكثيف الشعور الديني وتعزيز المثل العليا للانسحاب من العالم ، وإدانة الحياة الأرضية بوصفها عديمة القيمة وبوصفها مجرد وسيلة للانتقال إلى الحياة التالية ، و إلى الخلاص الأبدي والنعيم. و مع تطور المحتوى اللاهوتي للمسيحية، ظهر منهجان عريضان للأدب الكلاسيكي، سعى أولها إلى إبعاد المسيحية عن الوثنية ومن ثم تبرموا من الأصول الوثنية للفنون في ثقافتي اليونان وروما ، بينما سعى الآخر إلى مواصلة إضفاء التبني المسيحي للبلاغة والفلسفة الكلاسيكيتين. وقد شدد التيار الأول المتسم بالفكر المسيحي ، المستمد من العالم اللاهوتي ترتليان (Tertullian) من القرن الثالث (حوالي 160 -225م) الذي استمر حتى آخر مؤلف بترسي من آباء الكنيسة و هو البابا غريغوريوس الأكبر(Gregory) (540-604 م) - نقول: قد شدد على مرجعية الإيمان والوحي بوصفهما فوق العقل. و قد تخلى كل من ترتليان وغريغوريوس عن كل المعرفة الدنيوية ونظرا إلى الأدب على أنه مسعى ضئيل القيمة. و لقد زادت التصرفات الرهبانية النسكية من القلق المسيحي فيما يتعلق بالجمال والفن الدنيوي: ابتعد القديس جيروم وسانت باسيليوس وسانت برنارد والقديس فرنسيس عن جمال الطبيعة باعتباره إلهاءً عن التأمل في الأشياء الإلهية. كما ردد مفكرون مسيحيون مثل بوثيوس (Boethius) قلق أفلاطون من أن الفنون تعبر عن مشاعر تافهة وأن بإمكانها خداع الناس عن المسار الرشيد. ثم كان هناك أيضا في القرنين الثامن

[1] Ernst Robert Curtius, European Literature and the Latin Middle Ages, trans. Willard R. Trask (London: Routledge and Kegan Paul, 1979), p. 23.

والتاسع "الجدل حول تحطيم الأيقونات" بخصوص تجسيد الصور. اعتبر المسيحيون أن تمثيلهم للحواس يضعف عقائدهم الروحية. و استغرق الوقت حتى انعقاد مجمع نيقية عام 787 م حتى عدت الصور التعبدية مصدرًا شرعيًا للتعليم الديني.

أما التيار الثاني للفكر المسيحي فقد أظهر- منذ بداياته في رسائل القديس بولس (St. Paul) الطرطوسي وإنجيل القديس يوحنا (Gospel of St. John) و مع اللاهويتيْن الإسكندريْن خلال القرن الثالث الميلادي و هما إكليمندس (Clement) و أوريجانوس (Origen) - تركيزًا عقلانيًا وحاول التوفيق بين الفكر اليوناني القديم ومعتقدات المسيحية. فقد اعتقد إكليمندس أن العقل ضروري لفهم الكتاب المقدس ، وأن الفلاسفة اليونانيين توقعوا التصور المسيحي عن الله. أما أوريجانوس (حوالي 185 - 254) فهو المؤلف اليوناني لكتاب "في المبادئ الأولى" أول رواية منهجية للاهوت المسيحي، وقد صاغ أوريجانوس ، أكثر علماء الكتاب المقدس شهرة في الكنيسة الأولى ، نظامًا ملهما بشكل كبير من التفسير المجازي ، وفقًا لثلاثة مستويات - حرفي وأخلاقي ولاهوتي - تتوافق مع تكوين الإنسان كجسد ونفس وروح. استمر هذا التيار الفكري عبر غريغوريوس النزينزي(Gregory of Nazianzus،) ، وغريغوريوس نيصص (Gregory of Nissa،)، وجون فم الذهب ، وأمبروزيوس ، ووصل إلى قمم غير مسبوقة في أعمال القديس أوغسطين ، والقديس بونافينتورا (St. Bonaventura)، والقديس توما الأكويني (Thomas Aquinas). و في حين نال كل من الشعر والتاريخ بعض القبول ، بقيت الكنيسة لفترة طويلة معارضة للدراما ، وكذلك للفنون المرئية التي ارتبطت عندها بعبادة الأصنام. و قد أشار القديس أوغسطين للعروض المسرحية على أنها "مشاهد للنجاسة "التي كانت كلماته" [1] دخان وهواء "[2]

يذهب جورج كينيدي بشكل مفيد أن الآباء المسيحيين الذين كتبوا قبل مجمع نيقية في 325 أظهروا اتفاقًا كبيرا على بعض المبادئ العامة: و هي ، أنَّ المسيحي يجب أن يكتسب المعرفة بالقراءة والكتابة ، وهو ما يتطلب بعض القراءة للنصوص الكلاسيكية ؛ و أنَّ الأمثلة و الشواهد يمكن أن تؤخذ من الأعمال الكلاسيكية ، وأن تقرأ مجازياً لتتوافق مع التعاليم المسيحية ؛ و أنَّ الفلسفة الكلاسيكية والأدب يحتويان بالفعل على حقائق معينة ؛ وأن الكتاب المقدس الموحى به من الله ، صحيح على المستوى الحرفي ، ولكنه أيضًا يحتوي على مستويات أخلاقية ولاهوتية من المعنى. [3] و في الواقع قد يذهب البعض إلى أن الرمزية المسيحية يمكن أن تكون في حاجة إلى مواجهة الفكر الكلاسيكي، وكذلك في حاجة إلى ضرورة التوفيق بين العهدين القديم والجديد. و يمكننا الآن دراسة كيفية القيام بتلك المحاولات نحو ذلك التوليف التي قدم القديس أوغسطين صياغتها الكلاسيكية.

---

[1] 3. St. Augustine, City of God, trans. Henry Bettenson (Harmondsworth: Penguin, 1984), I.31. Hereafter cited as CG.

[2] 4. The Confessions of St. Augustine, trans. Rex Warner (New York: Mentor, 1963), I.xvii.

[3] 5. George Kennedy, ed., The Cambridge History of Literary Criticism: Volume I: Classical Criticism (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), pp. 339–340.

ثانيا - القديس أوغسطين (354-430م)

في أعمال أوغسطين (إلى جانب أعمال الكتاب اللاحقين مثل الأكويني ودانتي) حدث التوليف العميق بين المفاهيم الكلاسيكية والمسيحية. و أكثر من أي مفكر مسيحي آخر ، أثر أوغسطين في تقاليد الفكر الكاثوليكي والبروتستانتي معا على السواء. ولد في شمال إفريقيا و كان رئيس آباء الكنيسة اللاتينية ، و بعد أن درس في قرطاج وروما وميلانو أصبح أسقفًا لعنابة عام 395م. وصف أوغسطين في كتابه *اعترافات*(*Confessions*) (400 م) الرحلة الطويلة والشاقة لتحوله إلى المسيحية ، وهو المسار الذي تضمن الإيمان بالمانوية ومذهب الشك. و شرح لاهوته في كتابه *مدينة الله (City of God*) (412-427م) ، حيث نظر إلى التاريخ البشري على أنه كشف للمسار الرباني . و هنا كان يدافع بشكل أساسي عن المسيحية ضد أولئك الذين عزوا سقوط روما إلى التخلي عن الآلهة الوثنية. و غالبًا ما تتوافق آراء أوغسطين مع آراء أفلاطون ، الذي اعتبره أعظم فيلسوف. لكنه في الوقت نفسه أخضع الفلسفة للوحي الإلهي ، وأكد على أن مهمة العقل هي تعزيز فهم أوضح للأشياء المقبولة أصلا في الإيمان. كما أكد على الأهمية القصوى للخطيئة الأصلية باعتبارها مسؤولة عن ابتعاد الإنسان عن الله وعن الحالة المنحرفة للطبيعة البشرية. وقد ذهب أوغسطين إلى أن سبب الخطيئة الأصلية هو الكبرياء البشرية التي يعادلها بحب الإنسان لذاته ورغبته في الاكتفاء بنفسه، حيث اعتبر الإنسانُ نفسَه نور نفسِه الخاص. قسّم القديس أوغسطين الحياة الروحية إلى "مدينة أرضية" تتميز بـ "محبة للذات تصل إلى نقطة ترك الله" و "المدينة السماوية" ، التي تقوم على "محبة الله التي تصل إلى حد ازدراء الذات"(CG,XIV.10–14) [1] .

و على الرغم من أن أوغسطين لا ينكر الإرادة الإنسانية الحرة (بما أن إرادة الإنسان المنحرفة هي التي قادت إلى الخطيئة الأصلية) ، فإنه غالبًا ما يوصف بأنه يؤمن بالحتمية و القدرية، لأن أولئك الذين ينتمون إلى المدينة السماوية ، المختارين ، هم فقط من ينالون الخلاص. و المختارون لا يتم اختيارهم بسبب طيبتهم ولكن لأسباب غير معروفة. وهي هذه العقيدة الحتمية ، التي نشأت في القديس بولس ، و قد كان كالفن (Calvin) قد أحياها لاحقًا. ويؤكد أوغسطين أن الله وحده قادر على استعادة الحالة الطبيعية للخير التي خُلق عليها الإنسان. و إن وسيلة خلاص الإنسان من الخطيئة هي التجسد، من خلال المسيح فقط ، الذي هو "الوسيط بين الله والناس" ، فيستطيع الإنسان عندها الوصول إلى النعمة. و أعرب أوغسطين في اعترافاته ، عن ندمه بأثر رجعي على انغماسه "الأحمق" في الأدب الكلاسيكي (Confessions, I.xiii; III.ii)[2]. وأدان الدراسات المتحررة، مشيرًا إلى أن ما يحرر حقا هو الكتب المقدسة فقط. وبينما تعاطف مع حجج أفلاطون لإبعاد الشعراء والكتّاب المسرحيين لأسباب أخلاقية، كانت وجهات نظره حول علاقة الشعر بالحقيقة مختلفة بعض الشيء. فقد ذهب إلى أن اللوحات والمنحوتات والمسرحيات كانت خاطئة بالضرورة، ليس من جانب أي نية لها أن تكون كذلك، ولكن لمجرد عدم القدرة على أن تكون ما تمثله. للمفارقة ، لا يمكن للفنان أن يكون كذلك صادقا مع قصده الفني ما لم يشرِّع الباطل. لقد كانت إحدى مشكلات جماليات العصور الوسطى هي التوفيق بين الجمال الأرضي والانشغالات الروحية. بالنسبة لأوغسطين وغيره من فلاسفة القرون الوسطى مثل ألبرتوس (Albertus) و ماغنوس (Magnus) و بونافينتورا (St. Bonaventura)، لم يكن الجمال معنيًا بالأشياء المادية ؛ بل إنها تعني علاقة من الانسجام بين حدود معروفة ، سواء كانت هذه مادية أو فكرية أو روحية. و بتأثير من شيشرون ، نظر أوغسطين إلى العناصر الأساسية للجمال على أنها ، أولاً ، كمال متناغم ، وثانيًا ، على أنها وحدة في الأجزاء تنتظم بنسب متسقة (Confessions, IV.xiii)[3](ibid). و تعتمد جماليات أوغسطين على إطار أفلاطوني معدل يحتكم إلى عالم روحي أعلى يخضع له العالم المادي. على هذا النحو ، تم وضع الفن ، المكون من عناصر حسية ، على

---

[1] (" CG.6(14 -10 ، الرابع عشر،

[2] (الاعترافات ،). (Confessions, I.xiii; III.ii)

[3] (Confessions, IV.xiii).

درجة أقل واقعية من الحياة الروحية ، بعيدًا عن الله ، المصدر النهائي للوجود ، والمعيار النهائي للحقيقة. الكنيسة الأولى ، إذن ، كانت تتبنى مثالية ميتافيزيقية تنحدر جزئياً من تأثير أفلاطون ، مصرة على أن الحقيقة روحانية، وأن الإدراك الحسي وملاحظة العالم لم تكن طرقًا موثوقة لنيل الحقيقة. ومع كل ذلك، لم يتم رفض عالم المادة باعتباره غير واقعي ولكن تم قبوله ضمن مجال الخلق الإلهي ، مع احتلاله لموقع متواضع بالطبع. كان يُنظر إلى جمال الأشياء الأرضية على أنه تعبير عن أصلها الإلهي، و على أنه يستند إلى وحدتها - وحدتها في التنوع - التي تحاكى وحدانية الله. لقد عبرت هذه العلاقة عن الرؤية المسيحية في العصور الوسطى للواحد والمتعدد: إنها وحدة الله في النهاية هي التي تضفي الوحدة والانسجام على التنوع الهائل في العالم. و العالم هو قصيدة الله التي تعلن جمالها من خلال التناغم والتناسب الصحيحين.(CG, XI.18) [1]. تم التعبير عن إستراتيجية أوغسطين في تكييف الفكر الكلاسيكي والأدب مع الأهداف المسيحية و ذلك في عمله المهم المعنون بـ (*المذهب المسيحي*) *De Doctrina christiana* (397-426م) . في هذا العمل توجد تأملات معاصرة على نحو مدهش. و يميز أوغسطين بداية بين العلامات والأشياء: "كل علامة هي أيضًا شيء. . . ولكن ليس كل شيء أيضا هو علامة"[2] و يقول إن بعض الأشياء هي للاستخدام بينما الأشياء الأخرى للتمتع بها. و الأشياء الوحيدة للتي الخالصة هي وجه الله وتلك الأشياء "الأبدية وغير القابلة للتغيير" (DDC, I.22). [3] و جميع الأشياء الأخرى التي هي للاستخدام ، هي مجرد تعلة للوصول إلى التمتع بوجه الله (DDC, I.22). [4] و يشمل التمييز بين الاستخدام والمتعة الفروق بين الوسائل والغاية ، والشكل والموضوعية ، والزماني والسرمدي ، والجسدي والروحي ، والرحلة والهدف المنشود. و تستند هذه الفروق أساسا إلى تمييز واسع بين "هذه الدنيوية" و "الدنيوية الأخرى" التي كانت مركزية في اللاهوت المسيحي لقرون: فلا يمكن لهذا العالم أن يرتفع فوق منزلة الوسيلة ؛ و لا يمكن حتى لجمال العالم أن يكون غاية في حد ذاته. وهكذا يتم تجريد العالم من أي مغزى حرفي: فلا يكمن معناه في أجزائه المعزولة ولا حتى في نظام علاقات يربط بين جميع أجزائه ، ولكن في قدرته على الإشارة إلى ما وراء نفسه إلى ما يشير إليه في عالم آخر ، إلى هدف متسام. لا يمكن أن يكون لكائن في العالم أي مغزى أو أهمية أو معنى إلا في الإشارة إلى الله. يجب أن يُحب الله فقط لأجله هو، وكل الأشياء الأخرى يجب أن تُحَب في إشارة إلى الله (DDC, I. 127).[5] ومن ثم ، وفقًا لأوغسطين ، فإن العالم كما يخبره المسيحي ليس في الأساس شيئًا أو سلسلة من الأشياء لأنه يتحول إلى علامة أو سلسلة من العلامات (DDC, I.13). [6]لقد ميز أوغسطين قبل عدة قرون من سوسور ، بين العلامات الطبيعية والتقليدية ، فالأولى لا تجسد أي نية بشرية (كما هو الحال عندما يشير الدخان إلى نشوب حريق) والأخيرة ابتكرها البشر للتواصل (DDC, II.1–2).[7] و حتى العلامات التي قدمها الله في الكتب المقدسة ، كما يقول أوغسطين ، قد تم التعُريف بها من خلال البشر ، و هي تحتاج إلى الدراسة. و يعتقد أن صعوبات الكتاب المقدس تنبع إلى حد كبير من مصدرين ، علامات غير معروفة وغامضة. و العلاج الرئيسي لذلك هو معرفة لغات الكتاب المقدس (اللاتينية ، العبرية ، اليونانية) ؛ و يعترف أوغسطين أيضًا بأن تنوع التفسيرات مفيد بقدر ما يلقي الضوء غالبًا على المقاطع الغامضة (DDC, II.11, 12).[8] ومع ذلك، يجب أن "نؤمن أن كل ما هو مكتوب ، حتى لو كان مخفيًا ، فهو أفضل

[1] (CG ،XI.18).

[2] . Saint Augustine, De Doctrina Christiana (Calvin College: Christian Classics Ethereal Library, 2003), I.2. This translation, which I find to be particularly effective, is in the public domain and can be found in electronic format at: www.ccel.org/ccel/augustine/doctrine.iii.html. Hereafter cited as DDC.

[3] (DDC, I 120.)

[4]) DDC, I.22.(

[5]) DDC, I. 127 .(

[6]) DDC, I.13 (

[7]) DDC, II.1–2 .(

[8]) DDC, II.11, 12

وأصدق من أي شيء يمكن أن نبتكره بحكمتنا "(DDC, II.7) [1]. ومن هنا، فإنه يجب أن يُنظر إلى المعرفة على أنها نظام مغلق ، يحده علم الله الكلي و معرفته المعرفة المسبقة. أما ما يمكن أن يكون غير ذلك من الطبيعة التقليدية للمعرفة البشرية فهو إلى الأبد محاكاة جزئية ، وتطلع إلى ما بعد ، مما هو معروف بالفعل عند الله. يهتم أوغسطين بتوفير القواعد التي ستوجه القارئ في معرفة ما إذا كان يجب تفسير مقاطع معينة من الكتاب المقدس حرفيًا أو مجازيًا. القاعدة العامة عنده هي أنه يجب اعتبار أي مقطع يتم أخذه حرفيًا غير متسق مع "نقاء الحياة" أو "سلامة العقيدة" على أنه مجازي (DDC, III.10).[2] يحذر أوغسطين من اتخاذ تعبير رمزي أخذا حرفيًا. إنه "عبودية بائسة للنفس" ، كما كما يقول ، ذلك "أن تأخذ رموزا للأشياء ، وأن تكون غير قادر على رفع عين العقل فوق ما هو بدني ومخلوق ، فذلك قد يعب في النور الأبدي"(DDC, III.5).[3] تلقي هذه التعليقات ضوءً مثيرًا للاهتمام على أسس الرمزية المسيحية. المعنى الحرفي ، حيث "تُفهم الأشياء تمامًا كما يتم التعبير عنها" (DDC, III.37)[4] ، يتوافق مع عالم المادية والإحساس الجسدي. أما التعبيرات المجازية ، "حيث يتم التعبير عن شيء ويتم فهم شيء آخر" ، فتحاول رفع الإدراك نحو عالم روحي وفكري. ويتم إيقاف المعنى الحرفي لعتامة "الأشياء" حيث ينظر المعنى المجازي إلى الأشياء ، ويعاملها على أنها مجرد رموز لمستويات أعلى من الحقيقة ، وإلغاء شيئية العالم وإضفاء دلالة رمزية عليها تشير بكل عناصرها إلى الحياة الآخرة. وهكذا تم وضع الأساس لمستويات مختلفة من المعنى في الدلالة المجازية. و كل المعرفة والحكمة المهمة موجودة في الكتب المقدسة ، المستوحاة من الروح القدس ؛ و يمكن للناس استخدام ملكة العقل البشرية و مختلف فروع المعرفة الدنيوية إلى درجة معينة في فهم كلمة الله. لكن في النهاية، تقف هذه الكلمة فوق اللغة والعقل البشريين ، ويجب على الناس أن يصعدوا مجازيًا من الفهم الحرفي لعالمهم إلى نظرة رمزية له ، كجزء صغير في مخطط واسع يشمله ويعطي له معنى. فيجب أن يفهم **العالم** على أنه **كلمة الله**. و يرى أوغسطين بأن المعرفة الوثنية ، إذا كانت مفيدة ، يجب تكييفها للاستخدام المسيحي (DDC, II.31).[5] لكنه يحذر قائلا: إن "كل ما يملكه الإنسان مما تعلمه من مصادر أخرى غير الكتاب المقدس، فهو مدان إذا كان مؤذيا ؛ أما إذا كان مفيدًا ، فهو متضمن فيه " (DDC, II.42).[6] و في الكتاب الأخير من (*المذهب المسيحي*) *De Doctrina* ، يثبت أوغسطين أنه من الجائز للمعلم المسيحي استخدام فن البلاغة. ومع ذلك ، في حين أن البلاغة مفيدة للواعظ المسيحي ، إلا أنها أقل أهمية من الحكمة ، خاصة وأن الحكمة التي يتم الاستغناء عنها ليست حكمة بشرية بل هي "حكمة سماوية تنزل من الأب". و الواعظ المسيحي، إذن، ما هو إلا خادم لهذه الحكمة العليا (DDC, IV.5). [7] و إذا استطاع الواعظ أن يتكلم بفصاحة وحكمة ، فستكون تلك خدمة عظيمة. إن نظرة أوغسطين للحقيقة على أساس أنها لب الأسلوب الجيد هو الذي يكمن وراء تعريفه المسيحي الجديد للبلاغة. (DDC, IV.28)[8].

[1] (DDC, II.7)
[2](DDC, III.10).
[3](DDC, III.5.)
[4] (DDC, III.37)
[5] (DDC, II.31)
[6] (DDC, II.42)
[7](DDC, IV.5).
[8](DDC, IV.28).

References

1. Cambridge Companion to Aquinas, ed. Norman Kretzmann and Eleonore Stump
(Cambridge: Cambridge University Press, 1993), pp. 4–5.
2. Ernst Robert Curtius, European Literature and the Latin Middle Ages, trans. Willard R. Trask (London: Routledge and Kegan Paul, 1979), p. 23.
3. St. Augustine, City of God, trans. Henry Bettenson (Harmondsworth: Penguin,
1984), I.31. Hereafter cited as CG.
4. The Confessions of St. Augustine, trans. Rex Warner (New York: Mentor, 1963),
I.xvii.
5. George Kennedy, ed., The Cambridge History of Literary Criticism: Volume I: Classical Criticism (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), pp. 339–340.
6. Saint Augustine, De Doctrina Christiana (Calvin College: Christian Classics Ethereal Library, 2003), I.2. This translation, which I find to be particularly effective, is in the public domain and can be found in electronic format at: www.ccel.org/ccel/augustine/doctrine.iii.html. Hereafter cited as DDC.